

معالم الجيل الواعد سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

* تمهيد

* مقدمة

* وعد الله بالتمكين للمؤمنين

* بشرات النبوة بانتشار الإسلام

* اعترافات خصوم الإسلام

* واجب المسلمين في قيادة العالم

* عوامل انتصار الأمة الإسلامية

* خطورة تقليد أعداء الإسلام

* خطورة الترف على الشباب المسلم

* التربية الحقة للشباب المسلم

* جهود أعداء الإسلام للصد عن سبيل الله

* الصبر سبب النصر

* الخاتمة

تمهيد :

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وعلى آله وصحبه الشرفاء .

أما بعد:

فإنه مما لا ريب فيه بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يحمل في ثنايا أحكامه البلمس الشافي لأدواء البشرية، لأنه تنزّل من حكيم حميد، العالم بما يصلحهم وينفعهم { ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } . ولقد جاءت الدلائل في القرآن الكريم وفي سنة النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم موضحة عظيمة الإسلام ووجوب الاستمسك به لأنه أساس الاستخلاف والتمكين في الأرض . ومن هذا المنطلق جاءت اعترافات أعداء الإسلام بما لهذا الدين من دور فاعل في دفع عجلة الحضارة، وصرحوا بإفلاس جميع النظم البشرية لكونها من صنع عقول البشر القاصرة . لذلك كان لزاماً على الأمة الإسلامية إذا أرادت العزة والنصر أن تعود لهذا الدين، وأن تتمسك بتعاليمه حق التمسك، وأن تعتنق به حق الاعتزاز، وأن تفارق عادات أعدائها الدنيئة، وأن تحذر تقليدهم وموالاتهم لأنهم يضمرون لهذا الدين وأهله كل الشر، ويودون القضاء عليه بشتى الوسائل والسبل . والأمانة ملقاة على عاتق الشباب الذين ناط الله بهم مسؤولية تحمل أعباء هذه الدعوة، ولن يتأتى ذلك إلا بالإخلاص والصبر والتضحية، وتجنب جميع عوامل الفساد: كالترف والكسل والدعة، فإن ذلك مؤذن بتقويض بنيان الأمة، وإذا قام الشباب بدورهم المنوط بهم كان لهذه الأمة النصر والعزة والتمكين .

أخي القارئ الكريم :

حول " معالم للجبل الواعد " يأتي هذا الكتيب الذي هو عبارة عن محاضرة لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلى حفظه الله، لينير للسالكين دربهم، ويضع يديك على معالم الطريق حتى تسير على نور من ربك، فإليك هذا النبع الفياض الذي يروي ظمأك بمشيئة الله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله ذي القوة المتين الذي وعد بتأييد عباده المؤمنين، وتوعد بخذلان أعدائه الكافرين، أحمده سبحانه حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه لا حد لغايته ولا أمد لنهايته، العز كل العز في طاعته والذل كل الذل في معصيته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعد وتوعد وهو صادق فيما وعد به وتوعد، سبحانه له الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله بلغ رسالة ربه وأدى أمانته وجمع شتات هذه الأمة ووحد كلمتها وألف بين القلوب المتنافرة وجمع بين الفئات المتدابرة على كلمة سواء . وجاهد في سبيل الله حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد:

فالسalam عليكم أيها الأخوة المؤمنون ورحمة الله وبركاته . أحبيكم بهذه التحية الإيمانية الإسلامية تحية أهل الجنة وتحية الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين (سلام قولاً من رب رحيم) .

وأهني نفسي وأهنتكم بهذا الاجتماع الحاشد في هذا الجامع العريق وفي هذه الليلة المباركة في ظلال الإسلام؛ دين الله تعالى الحق الذي رفع الله به من كان منخفضاً وأعز به من كان ذليلاً .

فالحمد لله على هذا اللقاء، والحمد لله أولاً وآخراً على نعمة الإسلام الذي يؤلف ولا ينفرد، ويجمع ولا يشتت، ويوحد ولا يفرق .

وعد الله بالتمكين للمؤمنين :

هذا؛ وإن من تأمل كتاب الله سبحانه وتعالى وجد في ثنايا ما أنزله سبحانه على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم البشري لهذه الأمة ، التي من الله عليها بأن بعث فيها رسولا كريماً، وأنزل عليه ذكراً حكيماً، وهده به صراطاً مستقيماً، فإن الله سبحانه جمع شتات هذه الأمة بعد ضياع وتفرق وتمزق، فكانت بإذن الله سبحانه أمة قوية، عزيزة، وقد وعد الله سبحانه أن يظهر دينها على كل دين، وأن يعلي كلمتها على كل كلمة وأن يستخلفها في الأرض كما استخلف الصالحين من قبل من الأمم السابقة، يقول سبحانه: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)(1) ويقول سبحانه: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)(2) ويقول عز من قائل: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) (3) ويقول عز وجل: (ولقد سبقنا كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) (4) وقد وقع ذلك فيما سبق من تاريخ هذه الأمة، حيث أظهر الله سبحانه وتعالى دينه على الدين كله واستخلف هذه الأمة، في الأرض وعلت كلمتها بين الناس، وقادت الأمم بسلاسل الحق، والدعوة، إلى مسالك الرشد، فأخذت بزمام قافلة البشرية إلى طريق الخير والسعادة، فتبوأت الإنسانية في ظل الحكم الإسلامي النظيف مبوأ خير، ذاقت فيه نعمة هذه الحياة، وعرفت معنى الحرية والمساواة بين الناس.

(1) النور / 55

(2) الصف / 9

(3) الحج / 40-41

(4) الصافات / 171 - 173 .

ولا ريب أن ما عصف بهذه الأمة من عواصف، إنما كان بسبب خروجها عن المسلك السوي الذي سار عليه سلفها الصالح، وهذه هي سنة الله تعالى في خلقه، وقد كان بسبب ذلك ما أصاب هذه الإنسانية من بوار وشتات وتمزق، فالحضارات المتنوعة التي واجهتها هذه الإنسانية؛ وهي متكنبة سواء الصراط، ما عادت على هذه الإنسانية إلا بالويلات والدمار، ولا ريب أن الليل المظلم عندما يحلوك فإنه يؤذن بانبلاج الفجر، وهذه هي سنة الله تعالى التي لا تتبدل، ولذلك كان الأمل قوياً في أن يعيد الله سبحانه وتعالى إلى هذه الأمة مكانتها بين الأمم، وأن يبوئها مبعواً صدق، وأن يضفي على حياتها كل نعمة من النعم التي أضفاها على الأمم السابقة التي اتبعت الصراط السوي ولم تنتكب في سلوكها عنه، وهذا أمر يفرض علينا ديننا الحنيف أن نؤمن به، فإن الله سبحانه وتعالى بعث عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم مبشراً .

بشريات النبوة بانتشار الإسلام :

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتفاعل بظهور الحق عندما تشتد الأزمات وعندما تضيق حلقات الأمور حتى تكاد النفوس أن تزهق، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إبان ذلك يبشر هذه الأمة بخير، وهذا أمر يعرفه كل من درس سيرته صلى الله عليه وسلم وعرف مواقفه، فهو صلوات الله وسلامه عليه عندما خرج مهاجراً من مكة المكرمة التي هي داره وقراره؛ فلفظته بسبب دعوته إلى الحق؛ وتكرر له أهلها، وعندما خرج مهاجراً إلى المدينة المنورة وتعرض، له سراقاة في الطريق وكان ما وقع من أمره صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت، لم ينس وعد الله الصادق فقد كان ينظر إلى وعده سبحانه وتعالى بإيمان النبوة الصادقة، ولذلك قال لسراقاة وهو مول ظهره راجعاً نحو مكة المكرمة: ((كيف بك إذا لبست سوارى كسرى)) 1 إن هذا المنطق هو منطق النبوة الخالدة والرسالة الصادقة.

فإنه صلى الله عليه وسلم لو كان يخلد إلى أوضاع البشرية وطبائعها كان أحرى به في ذلك الوقت أن يضيق صدره وأن يشتد عليه الأمر حتى أنه تكاد أنفاسه تختنق، إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان مطمئناً إلى وعد الله سبحانه وتعالى، وهذا أمر وقع فعلاً إذ لم يمض على ذلك الوقت إلا نحو عقدين من السنين أو أقل حتى فتح الله سبحانه وتعالى للمسلمين مدائن كسرى، وجيء بتاجه وسواريه وخزائنه إلى أمير المؤمنين الفاروق رضي الله عنه ، فدعى بسراقاة وألبسه تاج كسرى وسواريه تصديقاً لوعد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام .

وكذلك عندما اشتدت الأزمة بالرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عندما رماهم العرب بأفلاذ أكبادهم، وشددوا الحصار عليهم في المدينة المنورة في واقعة الخندق المشهورة ورأى المسلمون بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسوروا البلاد بخندق يحوطها ويمنع العدو أن يفتح عليها وعليهم، وذلك بإشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه ، في ذلك الوقت عندما كان المسلمون يحفرون الخندق اعترضتهم صخرة لم يستطع المسلمون تفتيتها، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المطرقة التي كانوا يطرقونها بها، فضربها ضربة ولمع شعاع فقال إثر ذلك: ((الله أكبر فتحت لأمتي ممالك الروم كأني أنظر إلى قصور الشام))، ثم ضرب ثانية، وشع شعاع فقال صلوات الله وسلامه عليه : ((الله أكبر فتحت لأمتي ممالك كسرى كأني أنظر إلى قصور المدائن)) .

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في ساعات الأزمات وأوقات الحرج والشدة يستبشر بوعد الله المتين الذي لا يتبدل (لا يتبدل لوعد الله)

**** خطورة تخلي الأمة الإسلامية عن مكان القيادة**** في هذه العصور الأخيرة وقع ما وقع لهذه الإنسانية عندما تنكبت سواء الصراط، والأمة الإسلامية كانت من بين هذه الإنسانية الحائرة التعيسة، بسبب عدم قيامها بأمر الله سبحانه وتعالى وعدم اضطلاعها بأمانة الحق، لأن هذه الأمة ليست على شيء حتى تقيم موازين القسط، إذ الله تبارك وتعالى هيأها لأن تكون أمة قائدة رائدة تأخذ بزمام قافلة الإنسانية إلى الخير والسعادة، وتقيم حكم الحق في الإنسانية، وتتبوأ ما بين هذه الإنسانية مكان الإمامة والزعامة، وتكون أمة مُتَبَعَة مؤثرة، ولكن عندما تنكبت سواء الصراط أصيبت أيضاً فيمن أصيب، وكانت من ضمن قافلة الإنسانية التي اقتادتها الجاهلية الحديثة إلى الدمار والخزي والعياذ بالله، فحل بها ما حل، ولذلك انقسمت على نفسها فكان منها من يولي وجهه شطر الشرق خاضعاً للشيوعية، ومنهم من يولي وجهه شطر الغرب خاضعاً للرأسمالية وأصبح الناس في حيرة من أمرهم وضلال من سعيهم، وأخذت الآن هذه الغيوم بمشيئة الله سبحانه وتكشف لتنجلي الحقيقة للناس، وليبصروا ما يجهلونه من قبل.

اعترافات خصوم الإسلام :

وإذا بالإسلام رغم محاربتة الشديدة من قبل أعدائه هو أنشودة الناس، ويعلقون الأمل الكبير عليه بأن ينقذ هذه الإنسانية الحائرة، ولا أدل على ذلك من تهاوي مبادئ الكفر، وسقوط أركان الضلالة، وتكشف عوار تلك المبادئ التي آمن بها الناس رداً من الزمن، فقبل فترة من الوقت كان الناس كثيراً ما يعولون على الشيوعية، ويظنونها المنقذ لهم من ورطات هذه الحياة، ويرون فيها الحل الأمثل، حتى إن من كان يتنكر للشيوعية يسمى فيما بينهم رجعيًا، وإذا بأئمة هذه الشيوعية بأنفسهم يكفرون بها، ويصمون من يتمسك بها بالرجعية، فقبل بضع سنين تحدث (جورباتشوف) إلى قناة تلفزيونية بريطانية، وأجاب عن سؤال طرح عليه عن وضع الشيوعية في الصين وفي فيتنام؛ هل يمكن أن يستمر؟ فأجاب: (كلا ؛ لأنها ميتة والميت لا بقاء له) فسئل عن البديل؛ فقال: (لا أعتقد أن البديل يكمن في الرأسمالية ولا في الاشتراكية ولا في الديمقراطية، وإنما هو في نظام آخر، فعلينا أن نتكيف وفق حضارة جديدة)، ويومها قلت: بأن النظام الآخر الذي يشير إليه إنما هو نظام الإسلام، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون هناك نظام غير الإسلام؛ ففي بحاجات البشر ويحل مشكلاتهم، ويجمع شتاتهم، ويأخذ بأيديهم إلى ما يصبون إليه من خير، بعد هذه المعاناة الشديدة من الشر الذي كابده رداً من الزمن.

ولم تمض سنوات قليلة حتى تحدث شيوعي راديكالي يعتبر من أعنت الشيوعيين وأشدهم ضراوة وهو "كاسترو" عن صلاح الإسلام. وقال: "لم يبق أمام الناس إلا المنهج القرآني". فيما أن العالم يتطلع إلى هذا المنهج وإلى ما فيه من حلول لمشكلاتهم، فإن هذه المسؤولية إنما هي مسؤولية هذه الأمة الإسلامية التي اختارها الله سبحانه وتعالى لأن تكون شهيدة على جميع الأمم ورائدة في الحق، تستمسك بأمر الاله، وتأمُر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقيم حدود الاله، وله وتنفذ أحكامه وتجسد تعاليمه، فالله سبحانه وتعالى بين ميزة هذه الأمة، فقد أخبر أنها شهيدة على الأمم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (1) ، ويقول سبحانه وتعالى مبيناً سبب نبيل هذه الأمة هذا الشرف العظيم: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (2).

وهذا يعني أن هذه الأمة لا يمكن أن تسعد ويسعد الناس بسببها إلا عندما تعود إلى أصالتها وتتمسك بخصائصها، ولا تفرط في شيء من واجباتها، والسلف الصالح عندما شقوا طريقهم إلى الأمام، ووصلوا إلى ما وصلوا إليه، وأكتسحوا كل ما وقف أمامهم، إنما وصلوا إلى هذه الغايات البعيدة بسبب عزيمتهم الإيمانية الصادقة وعدم تفريطهم في شيء من أوامر الله سبحانه، فقد صدقوا الله فصدقهم الله ونصروه فنصرهم، ونصرة الله سبحانه وتعالى بينها كيف تكون عندما قال عز وجل: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور)(1).

واجب المسلمين في قيادة العالم :

هذا ولئن كانت الإنسانية بأسرها مطالبة بأن تواجه التحديات المختلفة بإيمان وثبات، فإن ذلك يعني أن على هذه الإنسانية أن تتكيف وفق أمر الله سبحانه وتعالى، وأن تستخرج الحلول من كنوز كتابه الكريم الذي لا تنفذ كنوزه ولا تنتهي حلوله، ولئن كان المسلمون هم الذين يسألون يوم القيامة عن وضع هذه الإنسانية الحائرة وعن الأخذ بيدها إلى سبل الخير، وهذه مسؤولية كل مسلم لا فرق بين صغير وكبير، فإن شباب هذه الأمة وهم الذين آتاهم الله سبحانه وتعالى الطاقات الحسية والمعنوية أكثر مسؤولية وأعظم خطراً في أن يتحملوا هذه المسؤولية بجدارة وصدق وأمانة . وكل أمة من الأمم تقاس في تقدمها وتأخرها ورفقيها وانحطاطها بحسب وضع شبابها، وبقدر ما يكونون عليه من الخير والاستقامة والرشد والاستمساك بحبل الله المتين، والعرض بالنواجز على هدي كتابه الكريم، وانتهاج صراطه المستقيم تكون الأمة بخير، وعندما يكون الشباب بخلاف ذلك تكون الأمة والعياذ بالله أمة مهينة ذليلة حقيرة .

هذا، ولا ريب أن اضطلاع الشباب بهذه المسؤولية الكبرى والقيام من جانبهم بهذه الأمانة العظمى، أمر يستدعي أن يتهيأ له الشباب بالقيام بالواجبات، وذلك بتكيفة تكيفاً تاماً حسب أوامر الله وأوامر رسوله صلى الله عليه وسلم لتكون كل جزئية من جزئيات حياته تجسيدا لحكم الله الذي لا تبدل لأحكامه، وهذا أمر ليس بالهين؛ فإن مرحلة الشباب مرحلة نزوات والانحرافات بسبب أن الشيطان يحرص دائماً على أن يضل الشاب عن سواء الصراط، ولذلك عندما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ذكر من بينهم شاباً نشأ في عبادة الله(2) .

والنزعات فجدير بالشباب أن يعرف مسؤوليته وهو في هذه المرحلة، على أن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أن الإنسان كما يسأل عن عمره عامة يسأل عن شبابه بصفة خاصة، فهو عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: ((لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس عن عمره فيم أفناه وعن شبابه فيم أبلاه)) إلى آخر الحديث(3).

فعلى الشاب أن يدرك أن مسؤوليته -وهو في هذا الشباب- مسؤولية مضاعفة، وأنه يسأل عن شبابه بصفة خاصة، لأن الشباب هو ريعان هذا العمر وزهرته ونضارته وهو المرحلة الذهبية منه، ومع هذا كله فإن الشباب مستهدف من قبل أعداء الإسلام، ولا بد من أن يجتازها بإيمان صادق وعزيمة متوقدة وهمة عالية وثبات في المضي قدماً في طريق الحق والاستقامة، وأعداء الإسلام أساليبهم متنوعة، فنحن نراهم كيف يتفنون على حرب هذا الدين وحرب اتباعه، ومحاولة الانحراف بشبابه مع انقسامهم على أنفسهم، فقبل فترة من الفترات كان هناك ثالوث خطير جداً؛ وهو الثالوث الصهيوني والصليبي والشيوعي، وإذا بالشيوعية تتساقط كما ذكرنا وقد بقيت الصليبية والصهيونية، ولكن هل انتهاء الشيوعية يعني انتهاء آثارها؟ فنحن عندما ننظر إلى وضع الناس اليوم نجد أن هناك ديداناً سامة تغذت بسموم الشيوعية، لأنها انفصلت عن جنتها المتعفنة النتنة، وأخذت تقيئ سمومها في وسط هذا العالم الإسلامي لأجل إغوائه باسم الحداثة، حتى يتنكب شباب الإسلام سواء الصراط، وينحرفوا عن منهج سلفهم الصالح ويقعدوا عما تقتضيه همهم العالية من السعي إلى الخير.

هذا؛ بجانب الكثير من المغريات المتنوعة، فقبل كل شيء العقبة الكبرى هي عقبة الجهل، والجهل الذي أعنيه هو الجهل بالأمور الدينية والدينية، فإن هذه الأمة كما هو معلوم لكم مرشحة بأن تقود الأمم، وأن تأخذ بناصية الإنسانية إلى سبيل الخير، ومن المعلوم أن هذه القيادة لا يمكن إلا أن تكون بمعرفة واسعة بالأمور السياسية والاجتماعية والثقافية، وبجميع ما تقتضيه هذه الحياة الدنيا من الأخذ بأسباب القوة .

عوامل انتصار الأمة الإسلامية :

ليس من المعقول أن يكل المسلمون أمور دنياهم إلى أعدائهم، الدنيا أحقر من أن تكون غاية ولكنها أكبر أيضاً من أن تهدر، لأنها الوسيلة إلى الدار الآخرة، فلذلك يجب على المسلمين أن يأخذوا بأسباب القوة فيها، والله سبحانه وتعالى يبين لنا ذلك عندما يقول: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (1).

وهذه القوة التي تعد تختلف باختلاف الأزمان، قد تكون قوة ما صالحة في عصر وهي ليست كذلك في عصر آخر فالناس حتى في العصور الماضية القريبة لا يمكن أن يتكافؤوا عندما بعضهم يتسلح بالخنجر والسيوف والآخرين يتسلحون بالبنادق والمدافع، فكيف مع هذه الآلات المبتكرة الحديثة التي لا تبقى ولا تذر؟

فالمسلمون مطالبون بأن يكونوا على معرفة بشؤون الحياة الدنيا حتى لا يكونوا عالة على أعدائهم في شيء، فالحمد لله سبحانه وتعالى يبين لنا أنه خلق لنا ما في الأرض جميعاً، فهو من ناحية يدعونا إلى الزهد في هذه الحياة الدنيا بحيث لا نقدمها على الحياة الآخرة ولا تكون لنا غاية، وذلك واضح في قوله تعالى :

(من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً) (2) وقوله عز من قائل :

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) (3) .

وكذلك عندما يضرب لنا الأمثال الكثيرة التي تبين لنا حقارة هذه الدنيا كما في قوله سبحانه وتعالى:

(واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقبلاً) (4) . وكذلك كما هو في قوله سبحانه وتعالى :

(إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) (5) ، وقوله عز من قائل:

(أعلّموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (6).

(1) الأنفال / 60

(2) الإسراء / 18-19

(3) هود / 15 - 16

(4) الكهف / 45 - 46

(5) - يونس / 24 ، 25

(6) الحديد / 20

ولكن بجانب هذا كله نجد الآيات الكثيرة التي تدعونا إلى الأخذ بأسباب القوة في هذه الحياة، والتي تدل على امتنان الله سبحانه وتعالى بما آتانا فيها من خير، لنسخر هذا الخير للوصول إلى الآخرة بسلوك الطريق المفضية إلى ذلك، فالله سبحانه وتعالى يقول: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) (1) ، ويقول عز من قائل: (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) (2). فعندما ندرك أن الله سبحانه وتعالى خلق لنا ما في الأرض جميعاً، وأنه سخر لنا ما في السموات وما في الأرض علينا أن نستغل هذا الخير، ولكن لنسخره للآخرة، لتكون الدنيا وسيلة لنا لا غاية. فالشباب المسلم مطالب بأن يتزود من علم هذه الحياة الدنيا ما يتمكن به من الاستقلال عن خصومه، حتى لا يكون عالة على عليهم في أمر دنياه، فنحن بحاجة إلى كل هذه المهارات في حياتنا الدنيا، فنحن بحاجة إلى الطبيب المسلم الحاذق، وإلى المهندس المسلم البارِع، وإلى الطيار المسلم الخبير، وإلى صاحب المصنع الماهر، الذي تميز مهارته مهارات الآخرين، ويتفوق بها ليتولى مكان القيادة فيما بينهم، نحن بحاجة إلى ذلك كله، ونحن بجانب هذا أيضاً بحاجة إلى الكثير من المهارات الدينية، حتى يكون الشباب متسلحين بعلم الدين بحيث يتمكنون بهذا التسليح من شق طريق هذه الحياة بأمان، حتى لا ينحرفوا عن سواء الصراط، وهذا ما يقتضيه أمر الله تبارك وتعالى لعباده بأن يتعلموا أمور دينهم، فالله سبحانه يقول: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (3).

خطورة تقليد أعداء الإسلام :

وإن من أسباب تنكب الشباب سواء الصراط أن يقلدوا دينهم الرجال، وأن لا ينظروا في أمر دينهم نظرة الفاحص الراغب في النجاة، الذي يهمله أن يلقي الله تبارك وتعالى يوم القيامة وهو نظيف طاهر من جميع الأدران، وهو مستمسك كل الاستمساك بحبله المتين .

ومن الخطورة بمكان أن يقلدوا دينهم كل أحد، فهناك الكثير من أهل العلم والمعرفة من لم تسكن خشية الله تبارك وتعالى قلبه، هؤلاء إنما يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، فهم وإن أوتوا ما أوتوا من علم الجدل والمناقشات ومن ضروب الفنون التي تبهز الناس، ليسوا من الله تبارك وتعالى في شيء وجدير بالمسلم أن لا يقلدهم أمر دينه، إنما على الشباب أن ينظر من يقلده أمر دينه.

وكذلك بجانب هذا هناك الكثير من الناس هم على جهل زائد، ولكنهم يتسورون أمور الدين ويتحدثون عنها تحدث العالم المحقق الجامع بين المعقول والمنقول، كأنما أوتوا من العلم حظاً وافراً، وهؤلاء خطرهم كبير لأنهم يلبسون لباس العلم وهم على جهل شديد بالإسلام، والله تبارك وتعالى قرن القول عليه بالإشراك عندما قال سبحانه : (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (4) .

ومن الخطر الكبير أن يحسن الظن بمن يلبس لبوس الإسلام من أجل الكيد له، وقد يكون بعض هؤلاء مجاهرين في وقت من الأوقات بالإلحاد، ثم بعد ذلك يتظاهرون بالرجوع إلى الإسلام، وإذا بهم يدسون سمومهم فيما بين المسلمين باسم الإسلام .

-
- (1) البقرة / 29
 - (2) الجاثية / 13
 - (3) التوبة / 122
 - (4) الأعراف / 33

وقبل فترة من الوقت سمعت عن أحد الأساتذة أنه يبدي إعجاباً بالغاً بأحد هؤلاء وكتاب له ظهر من جديد، ثم عندما التقيت به قال لي: ينبغي أن تقرأ هذا الكتاب فإنه كتاب جيد جداً، وعندما أخذت أقلب صفحات ذلك الكتاب رأيت فيه من الكيد للإسلام ما تفشعر منه الجلود، فمن ذلك أنه يجعل العبادة أمراً شكلياً، ومن استمسك بهذه العبادة من صلاة وصيام وزكاة وغير ذلك فإنما يستمسك بشكليات الإسلام وإنما العبادة الحقة التي يحض عليها الإسلام هو الحب، وهذا الحب هو للجميع لا فرق بين إنسان وآخر، هذا أمر هو من الخطورة بمكان، فإنه مع الأسف الشديد يؤدي والعياذ بالله إلى أن يجعل المسلم المؤمن والكافر في ميزانه سواء، بحيث يود الكافر كما يود المؤمن، والله تبارك وتعالى يقول: (يأيتها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يتفوقكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفروا) (1) .

ويقول تعالى: (يأيتها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) (2) .

ويبين لنا سبحانه وتعالى أن موالاة المؤمن إنما هي محصورة في ربه وفي نبيه صلى الله عليه وسلم وفي إخوانه المؤمنين، يقول تعالى : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) (3) .

ثم يبين عاقبة ذلك فيقول : (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (4) ، ويقول : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) (5) .

هكذا تأتي هذه النصوص لتقطع الصلة بين المؤمنين والكافرين حتى لا يربط بين الجانبين جسر، ولا يوحد بين الطائفتين فكر، فكيف مع ذلك يجرأ أحد ينتسب إلى الإسلام بأن يقول: بأن الدين كله الحب، وأن هذا الحب هو لجميع الناس من غير فرق بين أحد وآخر؟.

وكيف بجانب ذلك أيضاً يتجاوز هذا الضلال المبين إلى تسفيه أمر الدين بحيث يجعل هذه العبادات التي فرضها الله، وجعلها صلة بينه وبين عباده، وبها تتمايز أحوال العباد وتختلف طبقاتهم، يجعلها بأسرها أموراً شكلية لا قيمة لها حسب زعمه في موازين الإسلام، إن هذا لهو الضلال المبين .

فمثل هذه الأفكار المنحرفة التي تقدم إلى الشباب باسم الإسلام من قوم يزعمون أنهم أصبحوا الآن أعلاماً في الفكر الإسلامي، وأنهم أبصروا ما لم يبصره من قبلهم، مثل هذه الأفكار تدمر الأمة والعياذ بالله عندما تتلقى بالقبول، ثم بجانب هذا أيضاً أن الوصول إلى الغاية تحتاج إلى توضيحات جسام، فأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم رضوان الله تعالى عليهم شذوا عزائمهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، لقد خرجوا في هذا الأرض وهم قلة قليلة بين تلكم الكثرة الكاثرة من الكفرة الذين كانوا يتحدونهم ويقفون في سبيلهم ويضعون العراقيل أمامهم، ويرفعون السدود لتحول بينهم وبين مبتغاهم، ولكنهم اقتحموا صهوة متون الأخطار وواجهوا أنواع التحديات ولم يقفوا حتى وضعوا أقدامهم على هامات الجبارين، وأنزلوا القباصرة والأكاسرة من عروشهم صاغرين، وأذاقوا الشعوب التي كانت محرومة من الأمن والاطمئنان والعدل والمساواة طعم الحرية والعدل والمساواة .

(1) الممتحنة / 1 ، 2

(2) المائة / 51 ، 52

(3) المائة / 55

(4) المائة / 56

(5) المجادلة / 22

وهذا أمر يستدعى بطبيعة الحال على أن تكون من الشباب المعاصر تضحيات جسام، فالإخلاق إلى الراحة لا يؤدي إلى الغاية المطلوبة، ولذلك يجب قبل كل شيء أن يتربى هذا الشباب تربية بعيدة عن الترف، فالترف هو الذي يهلك الأمم، وما هذا التقارب الذي نراه بين كلمتي "الترف" و "التلف" إلا دليل على ما بينهما من الترابط المعنوي والتأخي السببي، فإن الترف والعياذ بالله مؤد إلى التلف، فهو يؤدي إلى التلف في الدنيا والآخرة، أما في الآخرة فأنتم تقرؤون قول الله تبارك وتعالى في أصحاب الشمال والعياذ بالله بعد ما ذكر الله سبحانه وتعالى ما ينتظرهم من العقاب الأليم (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) (1) فأول ما وصفهم به من أعمالهم التي يعملونها وأحوالهم التي كانوا عليها في هذه الدنيا أنهم كانوا مترفين .

وكذلك نجد أن الله تبارك وتعالى يصف أحوال هؤلاء في الدنيا وما يصيبهم فيها من العذاب بسبب هذا الترف، فهو تعالى يقول : (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قومًا آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترقتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) (2) ، ويقول تعالى: (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إذا هم يجعرون لا تجعروا اليوم إنكم منا لا تتصرون) (3) .

ويبين لنا سبحانه أن هؤلاء المترفين هم السبب في شيوع العذاب بين الناس؛ عندما يتركون وشأنهم وفسادهم وإغراقهم في لهوهم وانحرافهم عن سواء الصراط فهو تعالى يقول: (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (4) .

ويبين لنا سبحانه وتعالى أيضاً أن هؤلاء المترفين هم الذين وقفوا في وجوه المرسلين، فهم بسبب استمساكهم -بما فيه وعليه من الترف- يحرصون دائماً على ألا يفرطوا في ملذاتهم وشهواتهم، فيرون دعوات المرسلين تحول بينهم وبين ذلك، فلذلك يتحدونهم ويكذبون بها، يقول سبحانه وتعالى : (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم لخاصرون) (5) ، ويقول سبحانه: (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين) (6) فهم مخلدون إلى أموالهم وأولادهم ويغترون بذلك، أن ذلك هو مقياس التفرقة بين الحق والباطل .

وكذلك يقول سبحانه : (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) (7) .

وهكذا شأن هؤلاء المترفين يصرون على الاستمساك بالباطل، ويبين لنا سبحانه أن ذلك ليس بالنسبة إلى دعوات المرسلين فحسب بل هو أمر متكرر في تاريخ المصلحين، فالمصلحون يقف في وجوههم المترفون، يقول تبارك وتعالى: (فلو لا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) (8) ، ولذلك يقفون في وجوه المصلحين كما يقفون في وجوه المرسلين .

(1) الواقعة / 45

(2) الأنبياء / 11 - 13

(3) المؤمنون / 64 - 65

(4) الإسراء / 16

(5) المؤمنون / 33 - 34

(6) سبأ / 34 - 35

(7) الزخرف / 23

(8) هود / 116

فلذلك يجب أن يتربى الشباب لا على الترف والإخلاق إلى الراحة، بل على مواجهة الشدائد وتحمل اللأواء ومكابدة المشاق، حتى يكون مهياً لأن يتحمل كل شدة في سبيل أمر الله تبارك وتعالى عندما يواجهوا أعداء الإسلام .

هذا؛ ومن المعلوم أن قبل هذا كله وبعده، فإن الإيمان هو الأصل، ومن هنا تأتي التربية الإيمانية كرائد في هذا السبيل، فالشباب يجب أن ينشأوا على الإيمان بالله، والتعلق به سبحانه وتعالى، حتى يمتلك شغاف قلوبهم ويسيطر على أفكارهم ووجدانهم، كما يقتضي ذلك الإيمان الحق الذي كان عليه السلف، والذي يأتي عليه من بعد من سلك مسلكهم من الخلف، والذي دعت إليه آيات الكتاب العزيز والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فإله تبارك وتعالى يصف المؤمنين بأوصاف في الكتاب

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم)(1) .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار))(2) .

جهود أعداء الإسلام للصد عن سبيل الله :

فالإيمان ليس إهداء وإنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، ولذلك كان من الضرورة أن تكون التربية تجسد الإيمان الحق بحيث يدفع بهؤلاء الشباب دفعا إلى التضحية في سبيل الله سبحانه، ومن أجل أمر الله، ومن أجل الدعوة إليه.

ومع هذا أيضاً لا بد من أن يكون هؤلاء الشباب على بينة بمكر أعدائهم وأساليبهم ، وكيف يواجهون هؤلاء الأعداء سواء من الناحية المعنوية أو من الناحية المادية، فمن الناحية المادية كما ذكرنا عليهم أن يأخذوا بأسباب القوة كلها، ومن الناحية المعنوية عليهم أن يواجهوا مكر أعدائهم بالدعوة الحقة دعوة الصدق، فالتنصير الذي يقوم به الصليبيون يجب أن يعرى، وذلك بعد الفهم والدراسة لمكائد هؤلاء المنصرين ، كيف يريدون أن ينشروا مبادئ أنفسهم الآن أصبحوا لا يؤمنون بها، وما ذلك إلا من أجل اصطيد المؤمنين، ومن أجل الحيلولة بينهم وبين تاريخهم، فالمنصرون كل همهم في أن ينصرف المسلم عن الإسلام ولا يشغلهم بعد ذلك أن يكون على أي ملة أو على أي دين كما تحدث بذلك القس زويمر نفسه في مؤتمر القدس الذي انعقد في عام 1935 عندما قال: ((إن مهمة التبشير الذي ندبتكم من أجله الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في تنصير المسلمين، فإن في ذلك هداية لهم وتكريماً، وإنما هي في إخراج المسلم من الإسلام وجعله مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبهذا تكونون بأعمالكم هذه طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية)) ويذكر فيما يذكره أنه من المهم أن يخرجوا جيلاً معنياً بالشهوات لا يهيمه إلا أن يشبع شهوته، فإن تباؤ أسمى المناصب ففي سبيل الشهوات))، وكذلك بالنسبة إلى مكائد الصهيونية وما ينشرونه من أفكار خبيثة في الأمة الإسلامية من أجل تفتيت وحدتها وتفريق كلمتها و البعد بها عن أسباب عزتها وكرامتها.

يجب على الشباب أن يكونوا على بينة من ذلك، وأن يدرسوا ذلك دراسة مستفيضة، وأن يقوموا ببثه فيما بين الناس. وكذلك بالنسبة إلى هؤلاء الحشرات الذين يسمون أنفسهم بالحدثيين، وما يقومون به من دعايات مغرية في أمة الإسلام من أجل الحيلولة بين هذه الأمة وبين أسباب الخير، فيها يجب على الشباب أن يكونوا على بينة من ذلك كله، وأن يعرفوا مكائد هؤلاء ويفضحوا مؤامراتهم .

والدعوة إلى الله يجب أن تكون نصب عيني كل شاب مسلم، فإن الله تبارك وتعالى جعل الدعوة هي سبب رقي هذه الأمة وأخذها بأسباب القوة، والخير (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (1) وعليهم أن يصبروا من أجل إبلاغ هذه الدعوة إلى الناس فإن طريق الدعوة طريق وعر محفوف بالمكاره مليء بالمخاطر، فإله تبارك وتعالى يبين لنا ذلك من خلال أمره بالصبر في إبلاغ هذه الدعوة، فهو يقول فيما يحكيه عن لقمان في وصيته لأبنيه (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) (2)، ويقول سبحانه وتعالى مبيناً منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهاج أمته الذين يتبعون سبيله (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أن من المشركين) (3) ثم يتبع ذلك قوله: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (4) .

وهناك الكثير من الحديث الذي يتعلق بهذه الجوانب، ولكن نظراً إلى ضيق الوقت لا يمكننا أن نتجاوز ما قلناه إلى غيره .

1 - آل عمران / 110

2 - لقمان / 17

3 - يوسف / 108.

4 - - يوسف / 109 - 111.

الخاتمة :

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعز الإسلام والمسلمين وأن يقطع دابر أعدائه الكافرين.
اللهم ربنا استخلفنا في أرضك كما استخلفت من قبلنا من عبادك المؤمنين، ومكن لنا ديننا الذي ارتضيته لنا، وأبدلنا بخوفنا
أمنًا، وبدلنا عزًا، وبفقرنا عن،ى وبتشتتنا وحدة، وأجمعنا على كلمتك وألف بين قلوبنا بطاعتك، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال
والإكرام .

اللهم إنا ضعفاء فقونا، وإنا أذلاء فأعزنا، وإنا فقراء فأغننا، اللهم أغننا بحلالك عن الحرام، وبطاعتك عن الأثام، وبك عن
سواك، يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم أبرم في هذه الأمة أمر صلاح ورشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه
عن المنكر، ويحكم فيه شرعك، وتطبق فيه أحكامك، وتقام فيه حدودك وينتهج فيه صراطك، ويتبع فيه كتابك، ويقتدى فيه
برسولك محمد صلى الله عليه وسلم.

إنك ربنا على كل شيء قدير، وإنك بالإجابة جدير، نعم المولى ونعم النصير .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته